أدوات جمع البيانات -1- الملاحظة

قد يستدعي للباحث تقييم سلوك الفرد بالاعتماد على الملاحظة، كأداة لجمع البيانات وهي الأمثل في التعامل المباشر لتقدير سمات الشخصية لديه في العديد من الأماكن مثل مراكز التوجيه المختلفة والمدارس والمعاهد العسكرية وكذلك المستشفيات والعيادات النفسية وحتى في مكاتب التشغيل والتوظيف والمصانع، لأنها الأداة التي تسمح للباحث بتقدير مظاهر شخصية الفرد في مواقف أقرب للمواقف الطبيعية، وتساعد على جمع البيانات المتصلة بالسلوك الفعلي للفرد في المواقف الطبيعية أين يلاحظها الباحث دون مشقة.

فالملاحظة وسيلة هامة من وسائل جمع البيانات، وقد اعتمدها الانسان منذ القدم كما يعتمدها اليوم وفي المستقبل، حيث تزود الباحث في العلوم النفسية بالكثير من المعلومات عن الأفراد أثناء قيامهم بالعديد من السلوكات مثل متابعة أنشطة الطفل في البيت وفي المدرسة وحتى في الشارع، وملاحظة مراحل نموه الحركية واللغوية وغيرها وكذلك ملاحظة ردود أفعال الأفراد في المواقف الطبيعية والكوارث والأزمات....

وكما أن هناك العديد من المواقف السلوكية التي لا يستطيع الباحث فيها اتخاذ الملاحظة كأداة لجمع البيانات مثل الأحداث التي وقعت في زمن الماضي وكذلك الصراعات والنزاعات الأسرية والسلوك الجنسي وغيرها.

-تعريف الملاحظة:

الملاحظة هي توجيه الحواس والانتباه إلى ظاهرة معينة أو مجموعة من الظواهر من أجل الكشف عن صفاتها أو خصائصها بهدف الوصول إلى معرفة جديدة عن تلك الظاهرة أو الظواهر.

وفي التعريف الذي قدمه معجم اكسفورد الدقيق" الملاحظة هي مشاهدة صحيحة تسجل الظواهر كما تقع في الطبيعة وذلك بأخذ الأسباب ونتائج العلاقات المتبادلة بعين الاعتبار".

والملاحظة حسب فيكتور نول(1972)VictorNoll "هي طريقة جمع البيانات عن الفرد وهو في موقف السلوك المعتاد، وتدوين ما تمت مشاهدته بدون زيادة أو نقصان"

ويقول ماك بروني(1990)McBruny عن الملاحظة بأنها" مراقبة وتسجيل ما يحدث من سلوك دون أدنى محاولة لتغييره"

أما فريج عويد العنزي(1998) قد أشار إلى أهم خصائص الملاحظة وهي:

- جمع المعلومات بخصوص جزئية معينة من السلوك.
- التركيز على الواقعة السلوكية موضوع الدراسة.
- التركيز على عينة السلوك في الموقف الاجتماعي الفعلي والطبيعي.
- النظر إلى الشخصية على أنها تتبدى(تظهر) في تصرفات أو مواقف سلوكية معينة.
- والملاحظة هي وسيلة يستخدمها الانسان العادي في جمع الخبرات واكتسابها وذلك من خلال ما يشاهده او يسمع عنه ،لكن الباحث حين يلاحظ فإنه يتبع منهجا معينا يجعل من ملاحظته أساسا لمعرفة واعية أو فهم دقيق للظاهرة، ومن هنا تعتبر الملاحظة المشاهدة الدقيقة للسلوك أو الظاهرة وتسجيل الملاحظات كما تم مشاهدتها معتمدا في ذلك على الحواس.

أما الملاحظة العلمية تعني الانتباه للظواهر والحوادث بقصد تفسيرها واكتشاف أسبابها للوصول إلى القوانين التي تحكمها.

-أنواع الملاحظة: للملاحظة نوعان هما:

الملاحظة البسيطة: وهي التي تستخدم غالبا في البحوث الاستكشافية والاستطلاعية والتي لا يكون للباحث حولها معلومات كافية وتستخدم هذه الملاحظة في الظروف العادية دون اخضاع الظاهرة موضع البحث للضبط ودون استخدام الادوات كآلات التصوير والكاميرات وآلات التسجيل.....وهي ملاحظة عرضية تهدف إلى الكشف عن حقائق محددة.

الملاحظة الموجهة والمنظمة أو المنتظمة:

وهي عكس الملاحظة البسيطة وتخضع للضبط العلمي بمعنى أنها تقوم على أسس منظمة وخطط محددة تسبق القيام بعملية الملاحظة نفسها، حيث يحدد فيها الباحث نوع البيانات المراد جمعها حول الظاهرة وتمتاز هذه الملاحظة بتوافر شروط الضبط فيها وتحدد فيها زمان ومكان الملاحظة يشكل مسبق و يتم فيها استخدام الوسائل والآلات الدقيقة والاختبارات، وكل ما من شأنه أن يساعد في دقة الملاحظة وموضعيتها، ويكثر استخدام هذا النوع في الدراسات الوصفية والتجريبية وفق أسلوبين مختلفين هما:

- **الملاحظة بالمشاركة:**

وهي التي تتضمن اشتراك الباحث في حياة الناس الذين يقوم بملاحظتهم ومساهمته في أوجه النشاط التي يقومون بها لفترة مؤقتة وهي فترة الملاحظة، بهدف الحصول على بيانات تتعلق بالسلوك الاجتماعي وذلك عن طريق اتصال مباشر يجريه الباحث من خلال مواقف اجتماعية محددة.

وما يميز الملاحظة بالمشاركة أنها تسمح للباحث بملاحظة السلوك أو الظاهرة بصورة عفوية بعيدة عن التكلف والتصنع، كما تسمح له بتفهم سلوك الفرد بشكل أدق، حيث يقرأ المعاني التي تظهر على الوجه ويناقش الموضوعات الحساسة عن الجماعة التي يلاحظها، إلا أن هناك بعض السلبيات والانتقادات الموجهة لهذه الملاحظة والتي أهمها التحيز ويمكن أن يتعرض الباحث إلى مخاطر في حالة انكشاف امره....

- **الملاحظة بدون المشاركة:**

وهنا لا يشارك الباحث في مجريات الظاهرة المراد ملاحظتها لكن يلاحظها من بعيد وعلى كثب باستعمال بعض الآلات التي تسهل عليه ذلك مثل الكاميرات وغيرها.

فالباحث في هذا النوع من الملاحظة يأخذ مكان بعيد ويراقب الأحداث أو السلوك دون أن يشارك أفراد العينة أدوارهم، وتمتاز هذه الملاحظة بالموضوعية لعدم تأثر الباحث بالظاهرة المراد ملاحظتها وفي نفس الوقت تقابله بعض الصعوبات وهي عدم تفهم حقيقة الموقف وصعوبة إدراكه من كل جوانبه ،لأنه لا يستطيع قراءة تعابير الوجه والحركات وغيرها من التصرفات التي لها دلالة وعلاقة بالسلوك.

-**شروط الملاحظة العلمية:**حتى تنجح الملاحظة العلمية كوسيلة من وسائل البيانات يجب أن تتصف بالصفات التالية'

- أن تكون هادفة وموجه لغرض معين: لعل هذا ما يجعلها تختلف عن الملاحظة العابرة فالباحث قبل الملاحظة يحدد الموضوع وكذلك الهدف من وراء ملاحظته، وأن تكون خاضعة للضوابط الأساسية والمتمثلة في تحديد الأسئلة بدقة والأمانة العلمية والموضوعية وتحديد الأشخاص المعنيون بالملاحظة(العينة) والجوانب التي ستخضع للملاحظة.

- أن تكون مسلحة: وفيها يستخدم الباحث أدوات الملاحظة كالمجهر مثلا في العلوم الطبيعية، حيث يحدد فيها الباحث الطريقة التي سيعتمدها في تسجيل نتائج الملاحظة وذلك من خلال مقاييس التقدير التي سيعتمدها.

-خطوات الملاحظة العلمية(خطوات اعداد البطاقة): وهي:

- تحديد الموضوع وهو الظاهرة المراد دراستها وملاحظتها أي الهدف من الملاحظة بمعنى لماذا أعد بطاقة الملاحظة؟

- تحديد الوحدة السلوكية المراد ملاحظتها أي ضبط حقل الظاهرة لرصد أنماط السلوك فيه، وهنا يتضمن تحديد مظاهر السلوك المراد ملاحظته وتحديد كل مظهر جزئي منه، من خلال التعريف الاجرائي للسلوك.

- تحديد الغرض من الملاحظة الوصف أو التحليل أو التقويم .

- تصميم استمارة الملاحظة(شبكة الملاحظة) حتى يتسنى للباحث تسجيل المعلومات في الوقت المناسب مع تحرى الأمانة والصدق، وتتضمن صياغة العبارات التي تعبر عن كل مظهر من مظاهر السلوك في شكل وحدة سلوكية وفي عبارة واحدة ودقيقة غير قابلة للتأويل موضحا في ذلك زمن ومكان وأيام الملاحظة ومن القائم عليها وكذا أداة التقدير الخاصة بذلك.

- تدريب الملاحظ (مناقشة استمارة الملاحظة وتصوير فيديو ليتم عرضه على الملاحظين ثم اجراء ملاحظة تجريبية.

- إجراء الملاحظة الحقيقية وتسجيل المعلومات وهذا يكون بعد التدريب حيث يبدأ الملاحظ بتطبيق ما خطط لتطبيقه.

كل هذه الخطوات(من 1 إلى4) تدخل في المرحلة الأولى لتطبيق الملاحظة والتي تسمى بمرحلة الإعداد والتي تأتي بعدها مباشرة مرحلة التنفيذ حيث يبدأ الباحث تطبيق الملاحظة وذلك بتسجيل ما لاحظه في المواقف المختلفة ثم يقوم بدراسة هذه الملاحظات ومحاولة الربط بينها وبين البيانات الأخرى المستنتجة من مختلف الأدوات، أما في المرحلة الأخيرة (مرحلة التفسير) يبدأ الباحث بتفسير ما تم تسجيله من سمات وسلوكيات انطلاقا من التحليل. **وهذا نموذج لبطاقة ملاحظة ومقياس التقدير خاص بمدى الاهتمام بالآخرين من خلال العديد من الخصائص**

اســـــم ولقـــــب الحالـــــة.....العمر....الجنس.....المكان...اليوم.....التوقيت.....القائم علـــى الملاحظة.....الحالة الصحية للحالة....

مؤشرات الظاهرة	موجود/تنطبق	غير موجود/لاتنطبق
يقدر حاجات ومشكلات الآخرين		
يفضل اللعب مع الأطفال الصغار		
يحترم آراء وأفكار الصغار		
يتقبل اقتراحات الآخرين بصدر رحب		

-حدود الملاحظة كأداة لجمع البيانات (استخدامات الملاحظة):

يفترض في الملاحظة أن تعكس الأفعال وردودها بين أعضاء الجماعة أو بمعنى أخر الخصائص الموضوعية للموقف محل الملاحظة، وعليه يمكن أن نشير إلى بعض حدود استخدام الملاحظة فيما يلي:

- تستعمل الملاحظة بجميع أنواعها في دراسة الجماعات المحدودة الحجم كالجماعات الصغيرة.

- يتعين استخدام أحد أنواع الملاحظة تبعا لاختلاف وحدة الملاحظة (الموضوع) سواء أكان فردا أو جماعة وحالتها العامة فمثلا من الخطأ استعمال الملاحظة بالمشاركة مع المرضى بأمراض معينة.

- ينحصر دور الملاحظة على اللحظات الآنية، فهي لا تصلح لدراسة أشياء وقعت في الماضي أو أنها سوف تقع في المستقبل.

- أحيانا ما تتأثر الملاحظة البسيطة بالاطار المرجعي الذي يحدد وجهة نظر الباحث ورؤيته للأمور بما في ذلك قيمته وانتماءاته المختلفة.

- قد تؤثر بعض جوانب الضبط التي تستخدم في الملاحظة المنتظمة في تلقائية المواقف الاجتماعية عند الباحثين المبتدئين.

وقبل التطرق إلى مزايا وعيوب الملاحظة أردت أن أشير إلى نقطة مهمة تتمثل في بعض الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها الملاحظ أو الباحث عند وضعه لمقاييس التقدير والتي أهمها:

-خطأ التساهل وهو نزعة الملاحظ(المقيم) إلى المستويات الأعلى في التقدير وهذا يظهر عندما يكون الملاحظ قليل الخبرة والدراية والحنكة بما يلاحظ، وقد أطلق العلماء على هذا النوع من الأخطاء" بخطأ الكرم" لأن المقيم هنا حتى لا تظهر عيوبه وعدم كفاءته يميل إلى التقدير الأعلى .

-خطأ تأثير الهالة وهذا النوع من الأخطاء يقع فيه الملاحظ عندما يكون لديه انطباع مسبق عن الشخص موضوع الملاحظة ،وهذه الهالة والآراء المسبقة تشوه التقدير الحقيقي، فإن كان لديه انطباعا طيبا وموجبا فإن تقديره يكون عاليا في معظم السمات أو الجوانب المراد تقديرها ،وإذا كان الانطباع سيئا وسالبا فإن تقديره يكون منخفضا وهكذا..

-خطأ التشدد ويقصد به نزعة الملاحظ إلى إعطاء تقديرات منخفضة لجميع الأفراد على السمة موضع القياس ويشير إلى الميل الزائد في استخدام النهاية الدنيا للمقياس.

-خطأ النزعة المركزية أو الميل إلى المستوى الوسيط في المقياس وهذا النوع من الأخطاء يقع فيه الملاحظ عندما تغلب عليه الحيرة فيما يلاحظه لأنه غير ملم بالموضوع فهنا يميل الملاحظ إلى الوسطية في التقدير من باب التحفظ وكذا حتى لا يظهر عجزه.

-مزايا وعيوب الملاحظة:

أ-مزايا الملاحظة:

- أنها أفضل طريقة مباشرة لدراسة عدة أنواع من الظواهر، إذا أن هناك عدة جوانب للتصرفات الانسانية لا يمكن دراستها إلا بهذه الوسيلة.

- أنها لا تتطلب جهدا كبيرا يبدل من قبل المجموعة التي تجري ملاحظاتها بالمقارنة مع طرق بديلة.

- أنها تمكن الباحث من جمع البيانات تحت ظروف سلوكية مألوفة

- أنها تمكن من جمع الحقائق عند السلوك في نفس وقت حصولها (ألية).

- أنها لا تعتمد كثيرا عن الاستنتاجات (سلوكيات مباشرة).

ب-عيوب الملاحظة:

- قد يعتمد الأفراد موضوع البحث اعطاء انطباعا جيدا، وذلك عندما يدرك هؤلاء الأفراد أنه يقوم بمراقبة سلوكهم.

- من الصعب توقع حدوث حادثة عفوية بشكل مسبق، يكون الباحث حاضرا في ذلك الوقت وفي كثير من الأحيان قد تكون فترة الانطلاق مرهقة وتستغرق وقتا طويلا.

- قد تعيق عملية الملاحظة ظروف غير منتظرة كالتقلبات في الطقس أو وقوع أحداث أخرى.